﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٣٤﴾ [العنكبوت: 34]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الانتقالُ من الوعيد المجمل إلى الوعيد المُفصّل

لمّا أخبرت الآية السّابقة ما أُخبر به لوطٌ ﷺ بإنجائه وأهلِه من المؤمنين، واستثْنَوا امرأته من هذا الإنجاء، وأنّها باقيةٌ في الغابرين الماضين إلى حتْفِهم، وكان هذا الاستثناء بمثابة الإجمال في إخباره بإهلاكهم، ناسب أن يُعقب هذا الإجمالَ بتفصيل كيفيّة إهلاكهم، وتحديدِ جهته، وبيانِ سببه، فقال تعالى: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿رِجۡزٗا﴾: (رجز) أصلٌ يدلّ على اضطِرابٍ، من ذلك الرَّجَز: وهو داءٌ يصيب الإبل في أعجازها، فإذا ثارتِ النّاقةُ ارتعشتْ فخِذاها[2]، والرِّجْزُ: العذابُ المُزلْزِل المُزْعِج[3]، فهو مخصوصٌ بالعذاب الفظيع، وسُمّيَ ذلك النّوعُ من العذاب بالرِّجْز؛ لكونه ينزل بالاضطراب، فتضطرب له الأرضُ، وتضطرب له أبدانُ النّازِلِ عليهم ونفوسُهُم، فالرِّجزُ في قوله تعالى: ﴿مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، هو ما حصل لهم من الحجارة والاقتلاع والزّلزلة، كما في قوله: ﴿فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ ٧٤﴾ [الحجر: 74].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تفصيلُ كيفيّةِ العذابِ تهويلٌ لأمْرِه، وإيذانٌ بحتميّةِ إنفاذه

بعد أن أخبر الملائكةُ لوطًا بإنجائه، واستثنائِهم امرأتَه من

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 53.
(2) ابن فارس، المقاييس: (رجز).
(3) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (رجز).

ذلك، أخبروه بما سينزل بقومه من العقاب جزاءَ تحدّيهم له، واستهزائهم بعذاب الله، فقالوا: إنّا منزلون بأمر الله وإرادته، على أهل هذه القرية - وهي قرية سَدوم التي كان يسكنها قوم لوط - عذابًا شديدًا، صدر القضاءُ به من السّماءِ مِن لَدُنّا، فلا يملكون دَفْعه، ولا النّجاةَ منه، وهو عذابٌ يرتجِزون له (يضطربون)؛ فتنخلع له قلوبُهم؛ لأنّ الفسق قد تغلغل في أفئدتهم، فتمكّن منهم حتّى تشبّعوا به وصار دَيْدَنَهم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

أوجهُ موقع الجملة ممّا قبلها:

إنـجـاءُ المتّقين مقدّمة إهلاك الظّالمين ومحْقِ الفاسدين

جملة ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزَۢا﴾ تثنيةٌ بالإهلاك بعد ذِكر الإنجاء في قوله: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾، وكلا الجملتين ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ و﴿إِنَّا مُنزِلُونَ﴾ وقعتا بيانًا لمضمون جملة النّهي: ﴿لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ﴾، وعليه فجملة: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ﴾ داخلةٌ مع جملة ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ في حيّز التّعليل لجملة النّهي، ولذلك فُصِلَتْ هنا كما فُصلتْ نظيرتُها في: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾.

ويصحّ أن تكون جملة: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ﴾ تعليليّةً لجملة التّنجية مستأنفةً لتقرير بيانها وتكميل مضمونها، فإنّ إهلاكهم تكميلٌ لتنجيته بتطهيره من الذين كفروا! وهي من ذكر الملزوم بعد لازمه؛ لأنّ حصول الإنجاء يستلزم هلاكًا واقعًا حتّى تكون النّجاةُ منه، كأنّه قيل: (إنّا منجّوك؛ لأنّا مُهلِكوهم).

ويصحّ أنْ تكون جملة: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزَۢا﴾ بيانًا لمضمون الإهلاك المفهوم من الجملة قبله في قوله: ﴿كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾، وتعيينًا لنوعه، كأنّه قيل: كانت من الهالكين بنوعٍ من الهلاك نازلٍ عليهم من السّماء وهو الرّجز[2].

(1) المراغيّ، تفسير القرآن: 20/ 138، والمكيّ النّاصريّ، التّيسير في أحاديث التّفسير: 4/ 582، وطنطاويّ، الوسيط: 11/ 34.

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 434، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 360، وصافي، الجدول: 10/ 335.

علّةُ تقديمِ خبر الإهلاك وتأخيره:

علل التّقديم والتّأخير باعتبار المخاطَب ومقصدِ الخطاب

قُدّم ذكرُ الإنجاء على الإهلاك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٣٣ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، على خلاف ما جاء في خطابِ إبراهيم ﷺ، حيث عُكِس الأمر؛ فقُدِّم ذكر الإهلاك: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟﴾، على الإنجاء: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾؛ وذلك أنّ الملائكة بدأت الخطابَ مع إبراهيم ﷺ بالإخبار عن إهلاك القرية باعتبار الخبر المجمل؛ فلمّا سأل عن لوطٍ ﷺ جاء الجواب بالإنجاء، أمّا في خطابهم للوطٍ ﷺ، فكانت طمأنتُه على نفسه أحقَّ بالتّقديم، لا سيّما وقد أصابته المساءة والضّيقُ، فواجهوه بما يدفعهما ويستجلب له المسرّةَ والبشرى؛ فذكروا الإنجاء أوّلًا.

فائدةُ حذفِ فعل القول:

الإيجازُ هو الأصلُ والمقدَّمُ في الاستعمال الفصيح

حُذف فعلُ القول في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ﴾ فلم يقل: (قالوا إنّا منزلون)؛ لعدم الفصل بين البيان والمُبيَّن، والتّعليل والمُعلّل، ولأنّ جملة الإهلاك هذه في حيّز جملة التّنجية، فاستقلالها بقولٍ خرقٌ لهذا الحيّز، وهي مع ما سبقها مندرجةٌ في حيّز القول في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾، فما دام لا توجد نكتةٌ لإعادة ذكر فعل القول، فالإيجاز هو الأصل وهو المقدّمُ في الاستعمال الفصيح.

فائدةُ تشابهِ صدر الجُمل بالتّوكيد:

إقامةُ كلِّ جملة بانفرادٍ مقاصديٍّ وإن تشابهت في الأسلوب

صُدّرت جملة الإهلاك بالتّوكيد: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ﴾، كما صُدّرت به جملةُ الإنجاء: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾، لاتّحاد الجملتين في حيّز البيان، ولغرض تحقيق المضمون بالتّوكيد، والمبالغة في إيقاع الوعد والوعيد من غير رجعةٍ، ولا اندفاعٍ بشفاعةٍ محتملة من لوطٍ ﷺ، كعادة الأنبياء بالشّفاعة لأقوامهم إشفاقًا عليهم، لا سيّما وأنّ امراته فيهم.

نكتةُ التّعبير بالاسميّة:

جاء التّعبير بالاسميّة في الوعد: ﴿مُنَجُّوكَ﴾، وفي الوعيد: ﴿مُنزِلُونَ﴾؛ ليقع الإنجاء والإهلاك على درجة واحدةٍ من التّوكيد والمبالغة وعدمِ إمكان الخُلْف فيهما[1].

بلاغةُ استعمالِ مفردة الإنزال:

الـسّـمـاء منها تـنـزلُ الـبركـاتُ بتطهير الأرض من النّجاسات

جاء استعمالُ مفردةِ الإنزال في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ لكون العذاب منحطًّا عليهم من جهة السّماء، وجهةُ السّماء جهةُ علوٍّ، الوارِدُ منها واقعٌ بالنّزول، وللإشارة البديعة إلى أنّ أمر إهلاكهم هو شأنٌ علويٌّ فلا بدّ أن يُنفّذ، ولا سبيل لتعطيله أو ردّه، ولا سبيل لهم إلى مجابهته أو القدرة عليه، ففي التّعبير بالإنزال من السّماء إشعارٌ بأنّه عذابُ الاستئصال الماحِق الحالِق.

توجيه القراءات في ﴿مُنزِلُونَ﴾ وبلاغتها:

زيـــادة المبنى يقابلها زيادة في المعنى

قرأ ابن عامر بِتَشْديدِ الزّاي: ﴿مُنَزِّلُونَ﴾، وقرأ الباقون بِتَخْفيفِها: ﴿مُنزِلُونَ﴾[2]، فالحجة لمن شدد أنه: أخذه من نزَّل فهو منزَّل، والحجة لمن خفّف: أنه أخذه من: أنزل فهو منزل، إلّا أن التشديد لتكرير الفعل ومداومته[3].

دلالةُ استعمالِ حرف الاستعلاء:

عُدّي فعلُ الإنزال بحرف الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾؛ لتصوير تمكّن العذاب النّازل منهم وإطباقِه عليهم، فلا أحدَ يفوت منه، ولا أحدَ يَبقى بعده.

فائدةُ إضافةِ لفظ ﴿أَهۡلِ﴾ إلى اسم الإشارة:

أُضيف لفظ ﴿أَهۡلِ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ لتعريف

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 434.
(2) ابن الجزري، النشر: 2/ 343.
(3) ابن خالويه، الحجة، ص: 113.

الأهل وتعيينِهم، وإخراجهم من حيّز الجنس إلى حيّز العهد، وهم أهل قرية لوطٍ عليه السلام[1].

بلاغةُ استعمالِ اسم الإشارة:

شـرفُ الأماكـن وعظمتُها بشرف الطّاعة والإيمان

استُعمل اسمُ الإشارة للقريب في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾؛ لأنّهم يخاطبون لوطًا عليه السلام، والقريةُ مسكنُه، فهي أقرب شيءٍ منه؛ ففيه تصويرٌ للمشهد للقريب، أو للذي هم واقفون فيه، وفيه إفادةٌ بأنَّ المشارَ إليه وإن كان قريبًا فلا اعتبار له إذا كان بمعزلٍ عن طاعة الله تعالى، فإنَّ الأماكن إنَّما يعظم شأنُها ويشرف حالُها في طاعة الله تعالى والاقترابِ منه، وينزل فيها العذاب بقدر معصية الله تعالى والابتعادِ عنه.

سرُّ التّعبير بالقرية دون المدينة:

إذا تـوافـقـتِ الطِّباعُ اتَّحدتِ النَّتائج

استعمل النَّظمُ الكريم مفردةَ القرية في قوله تعالى: ﴿مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزَۢا﴾؛ للدّلالة على تجمّع أهلها واتّصالِهم فيما بينهم حتّى إذا نزل العذابُ عليهم عمّهم وأصابَهم جميعًا لا يفارقُ أحدًا منهم، فأهلُ القرى بينهم توافقٌ في الصّفات والأخلاق والشّيم والسّلوك.

سرُّ تقديمِ شبه الجملة على المفعول:

عـذابُ الظّالمين المـنـذَريـن يُصيبُهم العذابُ دون غيرِهم

قُدِّم الجارُّ والمجرور على المفعول في قوله تعالى: ﴿مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزَۢا﴾ اعتناءً بالمقدّم؛ لأنّهم المقصودون بإيقاع الرّجز، ولإفادة الحصر؛ فلا يتوهّمُ أنّ العذاب لكونه نازلًا من السّماء سيتّسع نزولُه بما يتجاوز القريةَ، فيُظلمُ بسببهم أناسٌ آخرون، كما هو شأن الحروب التي يشنُّها النّاس بعضُهم على بعض، فيكثرُ الظّلمُ، وينتشر العذابُ بين الأبرياء، فالتّقديم أفاد قصرَه عليهم، فلا يتجاوزهم.

(1) فاضل السامرائي، معاني النحو: 3/ 123.

نكتةُ استعمالِ مفردةِ (الرجز) دون (الرجس):

ملحوظٌ في الرّجز الاضطرابُ الشّديدُ الذي قلب القريةَ رأسًا على عَقِب

الرّجس مستعملٌ في القرآن فيما هو نجسٌ أو مستقذَر، والرّجز مستعملٌ في العذاب، والفرقُ الدّقيقُ بينهما: أنّ الرّجْس في الأنجاس والأقذار التي تكون سببًا لنزول الرّجز والعذاب، فجاء استعمال الرّجز في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ لأنّه أراد العذابَ، وسُمِّي بذلك لأنّه يُقلق المعذَّبَ ويقلقلُه، من قولهم: ارتجز، إذا اضطرب، فهو عذابٌ من شدّته يضطرب منه من أصابه كائنًا من كان[1]، ومن هنا كان الرّجز النّازلُ من السَّماء شديدًا على أهل القرية، فأوقع فيها الاضطرابَ الذي هو عبارةٌ عن زلزلةٍ قلبتْها رأسًا على عقب.

فائدةُ تقييدِ المفعول به:

قُيِّد العذابُ بكونه من السّماء في قوله تعالى: ﴿رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ للدّلالة على تناهيه في الشّدّة والبلاء، فهو عظيمٌ وقْعُه، شديدٌ صدعُه[2].

نوعُ الباء ودلالتُها:

الباء في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ سببيّةٌ، فدلَّت على أنَّ الله تعالى إنَّما أنزل عليهم الرّجز بسبب فسقهم الذي استمرّوا عليه، وعُرفوا به[3].

فائدةُ استعمالِ (ما):

شرُّ النّاسِ من يجمعُ إلى كُفْره فِسقًا وانفلاتًا

لفظُ (ما) أفادتِ العمومَ والإبهام؛ للدّلالة على اتّساعهم في خصال الفسق ومواردِ المنكر، وأنّهم جمعوا إلى الكفر خصالَ الفسق والانفلات في المحرّمات والخبائث.

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 194، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 434.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 434.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 39.

فائدةُ استعمالِ فعل الكون الماضي:

بـأسُ الله ينزل بعد التّطاول في الفسق والتّجاسُرِ في الفحش

استُعمل فعلُ ﴿كَانُواْ﴾ في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ لتحقيق نسبة الفسق إليهم، والإشارةِ إلى تمكّنهم من الفسق وتصميمهم عليه[1]، وأنَّه ديدنُهم، فاللّه سبحانه وتعالى لم يُنزل بهم بأسَه إلّا بعد تطاولهم في الفسق، وتجاسُرِهم على الفحش.

بلاغةُ استعمالِ مفردة الفسق مادّةً وصيغةً:

لفظُ الفسق دالٌّ على التّوسّع في المنكرات واستباحتِها

استُعملت مفردةُ ﴿يَفۡسُقُونَ﴾ للدّلالة على أنَّ ديدنَهم في الانفلات والخروج عن حدود الفطرة وحدودِ الدّين والوحي، وحدودِ العقل والحياء[2]؛ فإنَّ الفسق دالٌّ على الخروج، وجاءت بصيغة المضارع لاستحضار صورتهم وهم يُزاوِلون الحدث، وحكايةِ هيئتهم وهم يمارسون أفعال الرّذيلة والخَبَث، استجلابًا لاستقباحهم والنّفورِ من فِعلتهم، لدفع أسباب التّعاطف معهم فيما تُبديه وساوسُ شياطين الإنس والجن، من تسويغ أفعالِ السّوء والمنكر والفاحشة.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 434.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 434.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والأربعون،
سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 42 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-93-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 42 : المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-93-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2154237 بتاريخ 2024/12/25م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»